الفَصْلُ السَّابعُ

إعْجَازُ القُرْآن

العناية بدراسة القرآن العظيم:

لم يحدث في تاريخ البشرية،أنّ أمة من الأمم اعتنت بكتابها السماويّ كما اعتنت هذه الأمة المحمدية، ولم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ والرعاية. والإجلال والإكبار. كما ناله هذا الكتاب المجيد، معجزة محمد الخالدة، وحجته البالغة، ودعوته إلى الناس أجمعين. ولا عجب أن ينال القرآن العظيم هذه المنزلة الرفيعة، ويحتل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجليلة، ذلك لأن الأحداث التي رافقت نزول هذا الكتاب المقدّس، تجعله يتبوأ مكان الصدارة بين جميع الكتب السماوية، ويفوق كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هداية وإصلاح. وتربية وتعليم، وسمو وتشريع، ولقد أحسن وأبدع من قال:

(الله أكبرُ إن دين محمد   وكتابه أهدى وأقوم قيلا)
(لا تذكروا الكتب السوالف عنده   طلع الصباح فأطفىء القنديلا)

القرآن معجزة محمد الخالدة:

وقد جرت حكمة الله الأزليّة، أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات والدلائل الواضحات. والحجج والبراهين الدامغة، التي تدل على صدقهم، وعلى أنهم

obeikandi.com

أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير، وقد خصّ الله تبارك وتعالى نبينا ﷺ بالمعجزة العظمى (القرآن الكريم) ذلك النور الرباني، والوحي السماوي، الذي ألقاه على قلب نبيه قرآناً عربياً غير ذي عوج، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، والذي أحيا به أجيالاً من العدم، كانت في عداد الموتى فأحياها الله بنور هذا القرآن، وهذاها أقوم طريق وانتشلها من الحضيض فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله حيث يقول: **﴿أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناهُ وجعلنا لهُ نوراً يمشي بهِ في النّاسِ كمنْ مثلُهُ في الظلماتِ ليس بخارجٍ منها؟ كذلك زُيّنَ للكافرينَ ما كانوا يعملونَ﴾**[1]

لقد أحيا القرآن أمماً، وأوجد مجتمعاً، وألّف جيلاً لم يعرف له التاريخ مثيلاً، فأخرج من العرب الذين كانوا رعاة الإبل والغنم، سادةَ الشعوب والأمم، فملّكهم الدنيا حتى حكموا أقاصي المعمورة وكل ذلك بفضل هذا القرآن، معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين. وفي ذلك يقول أمير الشعراء:

(أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من العَدَم

ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات «حسيّة» تتناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه، كمعجزة (موسى) عليه السلام حيث كانت (اليد والعصا) لأنه بعث في زمن كثر فيه السحرة واشتهر فيه السحر، وكذلك معجزة (عيسى) عليه السلام حيث كانت بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه[2] والأبرص، والإخبار عن بعض المغيبات، لأنه بعث في عصر كثر فيه الطب والحكمة، وظهر فيه الأطباء البارعون، فأتاهم عيسى بن مريم بما أدهشهم وأعجزهم من شفاء المرضى، وإحياء الموتى، وإبراء العمي البكم الصم.

أقول: إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات (مادية حسيّة) فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة (روحية عقلية) وقد خصّه الله بالقرآن معجزة العقل الباقي

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) الأكمه: الأعمى. قال تعالى: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾.

على الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر، فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال:.

«ما من نبي من الأنبياء إلاّ أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» رواه البخاري..

أجل.. هذا الوحي السماوي الذي ألقاه الله على قلب نبيّه الأمين ليكون ضياء ورحمة للعالمين، هو معجزة الإسلام الخالدة، وحجته الباقية، تقوم على فم الدنيا شاهدة بصدق الرسول، ناطقة بعظمة الإسلام وخلود هذا الدين، بينما ذهبت المعجزات الحسية، ومضت مع أحداثها الكونيّة، وتلاشت من الوجود بعد وفاة الأنبياء الكرام الذين أتوا بها، فلم يعد لها وجود وبيان إلاّ في هذا القرآن الذي أخبر عنها، فكان له الفضل الأعظم عليها سابقاً ولاحقاً، ولله در القائل حيث يقول:

(جاء النبيّون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بكتاب غير منصرم)
(آياته كلّما طالَ المدى جُدُدُ ... يزينهن جمالُ العتق والقدم)

الآيات: المراد بها المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة. انصرمت: أي ذهبت بذهابهم..

قال العلامة الزرقاني: (وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول عليه الصلاة والسلام، بل هو قائم على فم الدنيا يحاج كل مكذب، ويتحدى كل منكر، ويدعو أمم العالم جمعاء إلى ما فيه من هداية الإسلام وسعادة بني الإنسان. ومن هذا يظهر الفرق جلياً بين معجزات نبيّ الإسلام ﷺ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أزكى الصلاة وأتم التسليم، فمعجزات محمد في القرآن وحده آلاف مؤلفة، وهي متمتعة بالبقاء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، أمّا معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم، وماتت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في خبر كان، ولا يسلم شاهد له بها إلا هذا

القرآن؟ وتلك نعمة يمنها القرآن على سائر الكتب والرسل، وما صح من الأديان كافة، قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه..**﴾[1] الآية. وقال عز اسمه: ﴿**آمن الرسولُ بما انزل إليه منْ ربه والمؤمنون كلٌ آمن باللهِ وملائكتِهِ وكتُبِهِ ورسلِهِ لا نفرّقُ بين أحدٍ من رسله..**﴾[2] الآية..

لهذا لم تكن معجزة سيد الأنبياء معجزة حسية. تقرع الحسّ وتستولي على النفوس، فلم تكن عصا تنقلب حيّة كعصا موسى، أو ناراً تصير برداً وسلاماً كالنار التي ألقى فيها الخليل، أو ناقة تخرج من صخر أصم ولها رغاء كناقة صالح، أو مريضاً يشفى، أو أعمى يبرأ كما فعل عيسى عليه السلام، وإنما كانت معجزة «عقلية خالدة» لأنها خاتمة الرسالات، فهي خالدة خلود الدهر، باقية بقاء الإنسان.

يقول الشيخ (محمد البنا) ما نصه: وإذا كان قد جرت خوارق للعادات على يد النبيّ ﷺ غير القرآن كما ورد في صحاح السنة فإن النبي ﷺ لم يتحدّ بها، بل كان التحدي بالقرآن وحده، ولهذا كان القرآن معجزة الرسول التي تؤيد رسالته، وتشرق في قلوب الذين اتبعوه من المؤمنين..

ورسالة النبي ﷺ شاملة خالدة لأنها خاتمة الرسالات فكانت الحكمة أن تتفق معجزته من نوع رسالته، إذ كل نبي سبق كان يأتي برسالة لقوم بأعيانهم وتنتهي بما يأتي بعدها من الرسالات، ولم يكن من الممكن أن تكون معجزة خاتم الأنبياء أمراً حسياً يراه جماعة حين يقع، فإذا لحق الرسول بالرفيق الأعلى انقضى ذلك الأمر المحسوس ولا يراه أحد من بعده، لأن الأمور المحسوسة لا تتفق مع نوع هذه الرسالة ولا مع خلودها، لقد كان، القرآن معجزة للناس جميعاً، ولذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجزات السابقة، وقد جاء للدنيا بعد أن اكتملت المدارك البشرية، وارتقى الفكر الانساني، لأن رسالة سيدنا محمد ﷺ، وافت البشرية بعد أن أدركت رشدها

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥. أنظر مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢٣٢.

وتكامل النمو العقلي في مجموعها، فكانت معجزته تدرك (بالعقل) ولا تحتاج إلى أيّ نوع من الحس. فهي معان خالدة، يدرك سموها الإنساني في كل الأجيال، وهي معجزة يخاطب بها الناس جميعاً[1].

معنى إعجاز القرآن:

الإعجاز في اللغة العربية هو: نسبة العجز إلى الغير قال تعالى: ﴿**أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي**..﴾[2] وتسمّى المعجزة (معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، لأنه أمر خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة وإعجاز القرآن معناه: إثبات عجز البشر ـ متفرقين ومجتمعين ـ عن الإتيان بمثله. وليس المقصود من (إعجاز القرآن) هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن، فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق، وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام التي يعجز البشر عنها ليس الغرض منها إلا إظهار صدقهم. وإثبات أن ما جاءوا به إنما هو بوحي من الحكيم العليم، وتنزيل من الإله القادر. وأنهم إنما يبلّغون رسالات الله، وليس لهم إلا الاخبار والتبليغ، فالمعجزات إذاً براهين من الله سبحانه إلى عباده، بصدق رسله وأنبيائه، فكأنّ الله تعالى ـ بواسطة هذه المعجزة ـ يقول: صدق عبدي فيما بلّغ عنّي وأنا أرسلته ليبلغكم ذلك، والدليل على صدقه أن أجري على يديه خوارق العادات مما لا يستطيع أحد منكم أن يأتي بمثله، ومما ليس بمقدور أحد من الناس أن يجاريه في مثل هذا الأمر العجيب ذالك هو معنى الإعجاز، وذلك هو مفهوم المعجزة.

متى يتحقق الإعجاز:

والإعجاز لا يتحقق إلا إذا توافرت أمور ثلاثة نجملها فيما يلي:

أ ـ الأول: التحدي، أي (طلب المباراة والمعارضة)

---

(١) أنظر الكتاب والسنة، ص ٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣١.

ب ـ الثاني: أن يكون الدافع إلى ردّ التحدّي قائماً

جـ ـ الثالث: أن يكون المانع منتفياً

ولنوضح هذه الأمور الثلاثة ببعض الأمثلة فنقول:

١ ـ هذا القرآن العظيم (معجزة محمد الكبرى) الذي تحدّى الله به العرب خاصة، والناس أجمعين. يأتي به نبيّ أميّ، لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يدرس في مدرسة، أو يتلق علومه في جامعة من الجامعات الكبيرة، ولم يثبت عنه أنه كان تلقى شيئاً من العلوم والمعارف عن بعض النابغين من العلماء، أو المبرزين في صنوف الثقافة والعرفان. ولم يتصل بأحدٍ من علماء أهل الكتاب (اليهود والنصارى) حتى يطلع على أنباء الأمم السابقين، وأخبار الأنبياء المتقدمين، جاءهم بهذا الكتاب المجيد. متحدياً لهم ـ وهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة ـ وطلب منهم معارضة القرآن، بعبارات قويه. وبحجات واخزة تستفز العزيمة وتدفع إلى المباراة، وتنزّل معهم من التحدي بجميع القرآن. إلى التحدّي بعشر سور مثله، ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله. وهم في كلّ هذا واجمون. لا ينبسون ببنْت شفة، وهم رغم هذا التحدّي ينتقلون من عجز إلى عجز. ومن هزيمة إلى هزيمة، أفليس في هذا أكبر شاهد وبرهان على إعجاز القرآن؟!

اسلوب القرآن في التحدي:

جاء التحدّي في القرآن الكريم بصور متعددة، وأساليب متنوعة، تهز كيان العرب هزا. وتجرّهم إلى الميدان جراً، في أسلوب ممتع أخاذ. يملك عليهم شعورهم، ويستحوذ على أفئدتهم، بسحره وجماله ورونقه

لقد تحداهم على أن يأتوا بمثل القرآن. فعجزوا وولّوا الأدبار. مع أنهم فرسان الفصاحة، وملوك البيان.

فتنزل معهم إلى (عشر سور) من مثله مفتريات، فانقطعوا واندحروا وعجزوا عن الاتيان بتلك السور العشر

فتنزل معهم إلى ما هو أسهل وأيسر، إلى الإتيان بمثل (سورة واحدة) فقط من سور القرآن، فلم يتقدّم واحد منهم إلى حَلْبة الميدان.. وبذلك سجّل عليهم القرآن العجز والهزيمة، وثبتت معجزة محمد، النبي الإميّ، على أنّ هذا القرآن تنزيل من رب العالمين: **﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمينَ* نزلَ به الروحُ الأمينُ*على قلبكَ لتكونَ منَ المنذرينَ*بلسانٍ عربيٍ مبينٍ﴾**(١) وصدق الله حيث يقول:

﴿ قُلْ نَزّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبّكَ بالحَقّ*ليُثَبّتَ الّذيـنَ آمنُـوا*وهُدىً وبُشْرى للمُسْلمينَ﴾(٢)

أنواع التحدي:

والتحدي الذي جاء في القرآن الكريم كان على نوعين:

١ ـ التحدي العام.

٢ ـ التحدّي الخاص.

أما الأول: فقد ورد لجميع الخلائق بما فيهم الفلاسفة، والعباقرة، والعلماء، والحكماء، وجاء لجميع البشر بدون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم، استمع إلى هذا التحدي الصارخ في سورة الإسراء:

﴿قلْ لئنْ اجتمعت الإنس والجنّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ، لا يأتونَ بمثلهِ ولوْ كانَ بعضُهمْ لبعضٍ ظهيراً﴾(٣).

وأما الثاني: (التحدي الخاص) فقد جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم لكفار قريش، وقد ورد هذا التحدي على نوعين أيضاً:

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٢.

(٣) ظهيراً: أي معيناً وناصراً. سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

obeikandl.com

١ ـ تحدي كلّي: وهو التحدي بجميع القرآن، في أحكامه، وروعته وبلاغته، وبيانه.

٢ ـ تحدّي جزئي: وهو التحدي بمثل سورة من سور القرآن الكريم،ولو من أقصر سورة كسورة الكوثر.

فالأول مثل قوله تعالى: ﴿**فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين**﴾[١] والمراد بالحديث في هذه الآيات الكريمة (قرآن مثله) أي يأتوا بقرآن يشبه هذا الذي جاءهم به محمد رسول الله، والذي زعموا أنه افتراه وتقوّله على الله، كما ورد التحدّي بالقرآن كله في سورة القصص في قوله تعالى:

﴿**قُلْ فأتُوا بكتَابٍ مِنْ عنـدِ اللهِ هـو أهْـدَى منها أتبِعْـه إن كُنْتُـمْ صادقين**﴾[٢].

فقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم، فإذا لم يستجيبوا لدعوته فإنما هم أناس متعنتون، يعبدون الهوى، ويسيرون على غير هدى الله.

أما التحدي الجزئي: فقد ورد في سورة (هود) في قوله تعالى:

﴿**أمْ يقولونَ افتراهُ؟قُلْ فأتُوا بعشرِ سُوَرٍ مثلِه مفترياتٍ، وادْعُوا مَنِ استطعْتُمْ من دونِ اللهِ إن كُنْتُمْ صادِقينَ*فإنْ لمْ يستجيبوا لكمْ فاعلمُوا أنّما أنْزِلَ بعلْمِ اللهِ، وأنْ لا إلهَ إلاّ هُوَ فهلْ أنتمْ مسلمونَ؟**﴾[٣].

كما ورد التحدّي بأقل من ذلك تحداهم (بسورة) واحدة من أقصر سور القرآن، وجاء هذا التحدّي مقروناً بالتعجيز الفاضح، في الحاضر،والمستقبل، مسجّلاً عليهم ذلك العجز، بما يثير حميتهم ويغريهم بتكلف المعارضة، لا سيما بعد قولتهم القبيحة

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٩.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

obeikandl.com

ودعواهم الكاذبة حين قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين﴾ (١).

جاءهم التحدي في سورة البقرة في قوله تعالى:

﴿وإنْ كُنتُمْ في ريبٍ مما نَزّلْنَا على عَبْدِنَا فأتُوا بسُورةٍ من مثلِه وادعُوا شهداءَكُمْ من دون الله إنْ كنتُمْ صادقين*فإنْ لم تفعلوا ـ ولَنْ تفعَلوا ـ فاتّقُوا النّارَ التي وقُودُهَا النّاسُ والحِجَارةُ أُعِدّتْ للكَافِرينَ﴾ (٢).

قال العلامة (القرطبي) في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن): قوله ﴿فإن لم تفعلوا)﴾ يعني فيما مضى، ﴿ولن تفعلوا﴾ أي تطيقوا ذلك فيما يأتي، وفيه إثارة لهممهم، وتحريك لنفوسهم، ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها (٣).

أما الأمر الثاني وهو: (قيام المقتضي للمباراة والمعارضة) عند العرب فقد كان حاصلاً وقائماً، فإن النبي عليه الصلاة والسلام جاءهم بدين جديد، أبطل فيه دينهم، وسفّه احلامهم، وسخر من آلهتهم وأصنامهم، وجعلهم اضحوكة بين الناس، ثم دعاهم الى اتباعه وإلى اعتقاد أنه رسول من عند الله، وقال لهم: إن الحجة على صدقي هذا الكتاب الذي أوحاه الله إلي، فإذا لم تصدقوني في ذلك فأنا اتحداكم ان تأتوا بمثله، او بمثل سورة منه، وإذا عجزتم فذلك آية صدقي، وبرهان رسالتي إليكم.. فما كان احوجهم إلى ان يأتوا بمثله خاصة بعد هذا التحدي السافر، والتهكم الشديد اللاذع، بعقولهم وآلهتهم وأصنامهم، أقول ما كان أحوجهم الى دحض ما ادعاه، وإبطال أنه من عند الله، وذلك بسلوك ايسر الطرق، وولوج اقرب الابواب لرد دعواه وذلك عن طريق ما برعوا فيه، واشتهروا بجودته واتقانه الا وهو (البيان) في النطق

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢.

و (الفصاحة) في اللسان، وكان ذلك انفع لهم من الحرب التي ذاقوا ويلاتها، وخاضوا غمارها، حتى شربوا كؤوس الأسى وتجرعوا الموت الذؤام، ولكنهم اختاروا طعن الرماح، ووقع النبال، ولم يدخلوا في المباراة.

يقول القاضي (الباقلاني) رحمه الله: (كيف يجوز أن يقدروا على معارضة القرآن، السهلة عليهم، وذلك يدْحض حُجّته، ويفسد دلالته، ويبطل أمره، فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة، ويتركون الأمر الخفيف؟ هذا ما يمتنع وقوعه في العادات ولا يجوز اتفاقه من العقلاء).

وأما الأمر الثالث: وهو (انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن)، فلأنه نزل بلسان عربي، هو لسانهم، وألفاظه من أحرف العرب، وعباراته على أسلوب العرب، وهم أهل البيان واللّسن، وأمراء الفصاحة والبلاغة، وقد دلت أشعارهم، ونطقت خطبهم وحِكَمُهم على براعتهم في ذلك، وعلى انهم حازوا قصب السبق في مضمار الفصاحة والبيان، كما أثبتت الأيام أنهم من ذوي القدرة والاستطاعة على ان يبرّزوا في الشعر والنثر، وان يحلّقوا في سماء الفصحى ألا وهي لغتهم الأساسية (لغة القرآن) التي بها يتفاخرون ويتبارون، ويعقدون المنتديات، ويجتمعون في المحافل، ليستمعوا أروع القصائد والخطب، ويصوغوا اجل الالفاظ والعبارات، ولم يكونوا في عجز من قدرتهم، او نقص في عقولهم، بل كانت قدرتهم موفورة، واستطاعتهم مشهورة، وهم أولوا النّهي والألباب، ومع ذلك فالقرآن دعاهم أن يستعينوا بمن شاءوا، ويكمّلوا ما ينقصهم بأهل الأديان، ويستحضروا عُدّتهم بالاتصال بالسحرة والكهّان، وبمن شاءوا من طوائف الإنس والجان، فليس أمامهم ثمة مانع، والنبي ﷺ لم يضرب لهم أجلاً للمعارضة، ولم يحدّد زمناً للمناقضة، حتى يقول قائل منهم: إن الزمن لا يكفي وليس فيه سعة، كما أن القرآن لم ينزل جملة واحدة حتى يحتجوا بذلك، بل نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، بين كل مجموعة واخرى زمن متسع للمعارضة وللإتيان بمثله لو كان في مقدورهم ذلك، فلما عجزوا دلّ على أنه تنزيل رب العباد، وكفى بذلك دليلاً وبرهاناً.

مثل على إعجاز القرآن:

وقد ذكر المرحوم (الشيخ الزرقاني) كلاماً نفيساً في كتابه (مناهل العرفان) ننقله بنصّه. قال رحمه الله في بحث تعريف (المعجزة) ما يلي:

(المعجزة: هي أمر خارج للعادة، خارق عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدّعي النبوّة، عند دعواه إيّاها: شاهداً على صدقه... فإذا قام إنسان ما، وادّعى أنه مبعوث من الله تعالى إلى خلقه، ورسولُه إلى عباده، وقال: إن آية صدقي فيما أدّعيه، أن يغيّر الله الذي ارسلني عادة من عاداته على يدي، وأن يخرج الآن عن سنة من سننه العامة في وجوده ثم قال: وسيأتيكم الله بهذا الأمر العجاب، من باب ترون انكم فيه نابغون وعليه قادرون، وإنّي أتحدّاكم زرافات ووحداناً أن تأتوا بمثل هذه الآية، وأمامكم الباب مفتوحاً كما تعتقدون، وفيكم النبوغ موفوراً كما تدّعون، ثم أنتم مجتمعون وأنا وحدي، قال ذلك بلغة الواثق، وتحدّانا هذا التحدّي الظاهر، في وقت يثور فيه على عقائدنا وعاداتنا وأخلاقنا، ويسفّه فيه أحلامنا وأحلام أمثالنا من آبائنا، ونحن أحرص ما نكون على تعجيزه وتبهيته والغلبة عليه والظفر به، دفاعاً عن كرامتنا وانتصاراً لأعزّ شيء لدينا، ثم لم يلبث أن قام وقمنا، وأجمع امره وأجمعنا، وإذا نحن جميعاً بعد محاولات ومصاولات لم نستطع أن نأتي بمثل ما أتى به، فضلاً عن أعظم منه، مع أننا أمة وهو فرد، ومع انه قد دخل الينا من أيسر الطرق في نظرنا، ومن أشهر فنّ في زماننا، ومع أنه قد أعطانا الفرصة الكافية لمناظرته، وأنصفنا كل انصاف من نفسه!!

هل يشكّ كل ذي مُسكة من عقل، في أن هذا الإنسان المتفوق الممتاز صادق في رسالته ومحق في دعوته، خصوصاً اذا عرفنا فوق ذلك كله أنه نشأ فينا على الصدق والأمانة ومكارم الاخلاق، من لدن صباه وطفولته إلى يوم مبعثه ورسالته!.

لو أنه جاء بالمعجزة من باب لا نعرفه، لقلنا: رجل حَذِق فنّاً من الفنون التي لا علم لنا بها، او تعلّم صناعة من الصناعات التي لم نحط بخبرها، أما وقد جاءنا من الناحية التي نشهد لأنفسنا فيها بالتفوق والسبق، فلا يسعنا إلاّ الإذعان له، والإيمان بما جاء به ما

دمنا منصفين. ولنضرب لك مثلاً: جاء موسى عليه السلام بمعجزته عصاً من الخشب، لا روح فيها ولا حركة، ولا لين ولا رطوبة، ثم ألقاها باسم الذي أرسله، فإذا هي حيّة تسعى، بينما الأمة التي تحدّاها بذلك كانت قد تفوّقت في السحر وحذقته، وضربت فيه بأوفر سهم وأوفى نصيب، خصوصاً انهم امة وهو فرد، وهم نابغون في السحر وهو مع نشأته فيهم لم يُعرف يوماً من الأيام بمعالجة السّحر، فهل يبقى للشك ظل بعد أن ألقى موسى عصاه **﴿فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾** [1]؟ **﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾** [2]، **﴿وألقي السّحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾** [3]؟؟ الحق أبلج، ولذلك كان أول من آمن به هم السحرة أنفسهم لأنهم أعرف بالسّحر ومقدماته ونتائجه، وقد رأوا رأي العين أن ذلك الإعجاز ليس من نوع السحر الذي عرفوه.

قل مثل ذلك في معجزة كل رسول أرسله الله، قله في عيسى بن مريم عليه السلام، وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله، أمام قوم نبغوا في الطبّ أيما نبوغ، ومهروا فيه أيما مهارة!..

وقل مثل ذلك وأكثر من ذلك في خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وما جاء به من آيات بينات ومعجزات واضحات، وحسبُك القرآن وحده برهاناً ساطعاً، بل براهين ساطعات، كل مقدار ثلاث آيات منه حجة قاطعة تقوم في فم الدنيا إلى يوم الساعة، تتحدّى العالم بما يكون فيها من أسرار الفصاحة والبيان، والعلوم والمعارف، وأنباء الغيب وشواهد الحق [4].

شروط المعجزة الإلهية:

وللمعجزة شرائط خمسة نبّه عليها العلماء، فإن اختلّ منها شرط لا تكون معجزة:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٨.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٠ ـ ١٢٢.

(٤) مناهل العرفان ج ١ ص ٦٨.

١ ـ الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين.

٢ ـ الشرط الثاني: أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.

٣ ـ الشرط الثالث: أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على صدق دعواه.

٤ ـ الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى النبيّ المتحدي بتلك المعجزة.

٥ ـ الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة.

فهذه الشروط الخمسة إن تحققت كان ذلك الأمر الخارق للعادة معجزة دالة على نبوّة صاحب الدعوى، التي ظهرت المعجزة على يده، وإن لم تتحقق خرجت عن كونها معجزة، ولم تدلّ على صدق صاحب الدعوى.

أما الشرط الأول: فإنه لو أتى آت ـ في زمن يصحّ فيه مجيء الرسل ـ وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يقوم ويقعد، ويأكل ويشرب، ويتحرك من مكان إلى مكان لم يكن هذا الذي ادّعاه معجزة، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات مما لا يقدر عليها البشر كفلق البحر، وانشقاق القمر، وإحياء الموتى.. الخ.

وأما الثاني: وهو خرق العادة فلو قال المدعي للنبوة معجزتي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب، وأن يأتي النهار بعد الليل، لم يكن فيما ادعاه معجزة، لأنّ هذه الأمور وإن كان لا يقدر عليها إلاّ الله، لكنّها لم تفعل من أجله، وقد كانت من قبله، فليس فيها دلالة على صدقه

وأما الثالث: وهو أن يستشهد بها مدّعي للنبوة وتحصل عند طلبها تصديقاً لدعواه، فلو ادّعى إنسان أنّ معجزته أن ينقلب الجماد إلى حيوان أو إنسان، ولم ينقلب لا يدل على صدق دعواه

وأما الرابع: وهو أن تقع المعجزة على وفق الدعوى لا على خلافه لأنها حينذاك تكون تكذيباً له. روى أن (مسيلمة الكذّاب) لعنه الله طلب منه أصحابه أن يتفل في بئر ليكثر فيها الماء فغارت البئر فدل على كذبه[1]

---

(١) أنظر تفسير القرطبي، ج ١ ص ٧٠.

خامساً: ألاَّ تُعارَضَ المعجزة فإن عورضت بطل كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحبها، فلو استطاع أحد فلق البحر أو شق القمر لم تعد معجزة ولهذا قال تعالى في خطاب المشركين ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (١)

لم كان إعجاز القرآن؟

القرآن العظيم كلامُ الله المعجزُ للخلق، في اسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وفي علومه وحِكَمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحُجُب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان، عن وجوه إعجاز القرآن، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، وقد أجمع أهل العربية قاطبة، وأهل اللَّسَن منهم والبيان، على أنّ القرآن (معجز بذاته) أي أنّ إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد، الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثر، ولا من شعر، ومسحته اللفظية الخلاّبة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، وبراعته الفنية.

مذهب أهل الصَّرفة:

وقد ذهب بعض المعتزلة منهم (أبو اسحق النظّام) إلى أن إعجاز القرآن إنما كان بـ (الصرّفة) بمعنى أن الله عز وجل صرف البشر عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها وخلق فيهم العجز عن محاكاته في أنفسهم وألسنتهم، ولولا أنّ الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.. ولعمري هذا قول من لم يتذوق طعم العربية، ولا عرف أسرارها، بل قول من لم يدرك من العلوم إلا قشوراً لا تسمن ولا تغني من جوع، وهو قول ساقط مرذول، مخالف لما أجمع عليه العلماء والفصحاء والبلغاء في القديم والحديث

يقول حجة الأدب العربي (مصطفى الرافعي) رحمه الله: (وقد اختلفت آراء المعتزلة في وجه إعجاز القرآن، فذهب شيطان المتكلمين (أبو إسحق النظّام) إلى أنّ

---

(١) سورة الطور، الآية: ٣٤.

obeikandl.com

الإعجاز كان بالصَّرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة وقال (المرتَضَى من الشيعة): بل معنى الصَّرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن.. فكأنه يقول: إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم، ولا كان العلم في زمنهم.. وهذا رأي بيّنُ الخلط كما ترى!

ثم قال: وعلى الجملة فإنّ القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه **﴿إنْ هذا إلاّ سحْرٌ يؤثر﴾**[1] وهذا زعمٌ ردّه الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العَمَى **﴿أفسحرٌ هذا أمْ أنتمْ لا تبصرونَ﴾**[2]

وعلى ذلك المذهب الفاسد يمكن أن يقال: إن المعجز ليس هو القرآن الكريم على حد زعمهم إنما هو (الصرفة) التي بسببها عجزوا عن الاتيان بمثله **﴿صرفَ اللهُ قلوبَهُمْ بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾**[3]. وقد أسفّ (ابن حزم) الظاهري حين سلك ذلك المسلك الملتوي، وذهب إلى ما ذهب إليه سلفه (النظّام) من سُخف الكلام، ولكن بأسلوب رشيق رقيق حيث يقول في كتابه (الفصل) في سبب الإعجاز ما نصّه:

(لم يقل أحد إن كلام الله تعالى غير معجز، ولكن لمّا قاله الله تعالى، وجعله كلاماً له أصاره معجزاً، ومنع من مماثلته، وهذا برهان كافٍ لا يُحتاج إلى غيره)

فأنت ترى صاحب هذا الرأي يجعل القرآن الكريم معجزاً بمنع الله عزّ وجل من مماثلته وهذا عين رأي النظّام الذي يقول بالصّرفة، وهو رأي باطل كما أسلفنا، والقوم محجوبون عن ضياء الحق الساطع، وما أجمل قول القائل:

قد تنكر العينُ ضوء الشمس من رَمَدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سَقَمِ

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الطور، الآية: ١٥. انظر، إعجاز القرآن للرافعي ص ١٦٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

آراء العلماء في الإعجاز:

بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بذاته، وعلى عدم استطاعة أحدٍ من البشر الاتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن على آراء:

أ - يرى بعضهم: أن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم، في مطالعه، ومقاطعه، وفواصله

ب - ويرى البعض الآخر: أنّ وجه الإعجاز إنما يكمن في فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة سبكه، إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يُعْهَد مثلها

جـ - ويرى آخرون أن الإعجاز في خلوّه من التناقض، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور الغيبيّة التي ليست بمقدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها، كما أنه سليم من التناقض والتعارض

د - وهناك من يقول: إن وجه الإعجاز هو ما تضمّنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة، في الفواتح، والمقاصد، والخواتيم في كل سورة، والمعوّل عليه عندهم ما يلي:

١ - الفصاحة في الألفاظ.

٢ - البلاغة في المعاني

٣ - صورة النظم البديع.

وهذه الأقوال كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي (الدائرة البيانيّة) التي امتاز بها القرآن، وهي وإن كانت حقاً إلاّ أن إعجاز القرآن ليس في (الفصاحة والبلاغة) فحسب، بل هناك وجوه أخرى لإعجاز القرآن، وقد أجاد العلامة (القرطبي) رحمه الله في تفسيره القيّم المسمّى (الجامع لأحكام القرآن) فعدّ عشرة وجوهٍ لإعجاز القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ (الزرقاني) في كتابه (مناهل العرفان) أربعة عشر وجهاً من وجوه الإعجاز، منها ما ذكره القرطبي ومنها ما لم يذكره، ونحن نذكر هذه

الوجوه بالإيجاز ثم نعقبها بشيء من التفصيل، فنقول ومن الله نستمد العون:

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

أولاً: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب

ثانياً: الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية

ثالثاً: الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها

رابعاً: التشريع الدقيق الكامل، الذي يبزّ كل تشريع وضعي

خامساً: الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلاّ بالوحي

سادساً: عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها

سابعاً: الوفاء بكل ما اخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد

ثامناً: العلوم والمعارف التي اشتمل عليها (العلوم الشرعية والعلوم الكونية)

تاسعاً: وفاؤه بحاجات البشر

عاشراً: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء

أما الوجه الأول: من وجوه إعجازه فهو (النظم البديع) المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظمه، لا من شعر ولا من نثر، وذلك بشهادة أساطين البلاغة، وأئمة الفصاحة والبيان، (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) وغيرهما من فصيحاء العرب ومشاهيرهم.

أمثلة من التاريخ:

١ ـ يروى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك، فإنّك أتيت محمداً لتعرضَ لما قِبَله (أي لتنال من فضله) فقال الوليد: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، فقال له أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومَك أنك

obeikandl.com

منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلمُ بالشعر مني، لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه.. فقال أبو جهل اللعين: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلمّا فكّر قال: ﴿إن هذا إلا سحرٌ يؤثر﴾ فنزل فيه قول الله تعالى ﴿ذرني ومنْ خلقتُ وحيداً * وجعلتُ لَهُ مالاً ممدوداً..﴾ إلى قوله: ﴿إنه فكّرَ وقدّرَ * فَقُتِلَ كيفَ قدّرَ * ثمّ قُتلَ كيفَ قدّرَ * ثمّ نَظرَ * ثمّ عَبَسَ وبَسرَ * ثمّ أدبرَ واستكْبرَ * فقالَ إنْ هذا إلا سحرٌ يُؤْثَرُ * إنْ هذا إلا قولُ البَشرِ﴾ (١)

٢ ـ ويروى أن (الوليد) لمّا سمع القرآن من النبي ﷺ تأثّر تأثراً بالغاً فجاء لقومه (بني مخزوم) وقال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً (أي سابقاً) كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة... الخ. فقالت قريش: صبأ والله الوليد، لتصبأنّ قريش كلها، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً وكلّمه بما أغاظه، فقام الوليد وقام معه أبو جهل، فلمّا أتى قومه قال: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهّن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كذّاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك. اللّهم لا... ثم قالوا: فما هو؟ ففكّر، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله، وبين الوالد وولده، وما الذي يقوله إلا سحر يأثره (أي ينقله) عن أهل بابل، فارتجّ النادي فرحاً، وتفرقوا مُعْجَبين بقوله، متعجبين منه فنزلت الآيات الكريمة (٢)

٣ ـ وفي صحيح مسلم أن (أنيساً الغفاري) أخا أبي ذرّ، قال لأبي ذرّ: لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس: قال يقولون: شاعر، ساحر، كاهن، وكان (أنيس) أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول

(١) سورة المدثر، الآيات: ١١ ـ ٢٥. رواه البيهقي في دلائل النبوة.
(٢) أنظر الكشاف، ج ٤ ص ٦٤٩.

الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر (يريد أنواعه وبحوره) فلم يلتئم على لسان أحد منهم أنه شعر، والله إنهم لكاذبون وإنه لصادق[1].

٤ ـ وأخرج ابن إسحق في السيرة (أن أبا جهل قال في ملأ من قريش: لقد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر، والكهانة، والسحر، فكلّمه ثم أتانا ببيان عن أمره؟ فقال (عتبة بن ربيعة) ـ ومن من أشراف القوم وسادتهم ـ أنا أقوم إليه وأكلّمه! فأتاه فقال يا محمد: أنتَ خيرٌ أم هاشم؟ أنتَ خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فم تشتم آلهتنا وتضلّلنا؟ فإن كنت تريد الرياسة، عقد لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن كنت تريد النساء زوجناك ما تشاء منهن، تختار من أي بنات قريش ما شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنانا وأكثرنا مالاً، والنبي ﷺ ساكت لا يجيبه، فلمّا فرغ من عرضه، قال له النبي ﷺ: أفَرَغتَ؟ قال: نعم، قال فاسمع إذاً فتلا عليه سورة فصلت ﴿**حم * تنزيلٌ منَ الرحمن الرحيمِ * كتابٌ فصّلتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون * بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرَهُمْ فهُمْ لا يسمعون**..﴾ الخ حتى بلغ قوله تعالى ﴿**فإنْ أعرضُوا فقُلْ أنذرْتُكُمْ صاعقةً**..﴾[2] الآية فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أن يكفّ، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة الا قد صبأ! فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة: ما حبسك عنّا إلا أنك قد صبأت، فغضب ثم قال لهم: والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا بسحرٍ، ولا بكهانة، وقد ناشدته بالرحم أن يكفّ خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب..)[3]

قال العلامة (القرطبي) رحمه الله

(وإذا اعترف عتبة على موضعه من اللّسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ج ١ ص ٧٣.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ١ ـ ١٣.

(٣) أنظر الكشاف، ج ٤، ص ١٩٢.

obeikandl.com

ما سمع مثل القرآن قطّ، كان في هذا القول، مقراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه)

أما الوجه الثاني لإعجاز القرآن: فهو (الأسلوب العجيب) المخالف لجميع الأساليب العربية. فقد جاء القرآن بذلك الأسلوب الرائع الخلاّب، الذي بهر العرب برونقه وجماله، وعذوبته وحلاوته، وقد كانت فيه من الخصائص العليا مالم توجد في كلام بشر على نحو ما وجدت في القرآن، خصوصاً وأن النبي ﷺ تحدّى به فأعجز أساطين الفصحاء. وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان، وذلك في عصر كانت القُوَى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق في هذه الناحية

يقول (الزرقاني) رحمه الله: (وها قد مرّت على اللغة العربية، من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا، أدوار مختلفة بين علوّ ونزول، واتساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار، واقف في عليائه، يطلُّ على الجميع من سمائه. وهو يشعُّ نوراً وهدايةً، ويفيض عذوبة وجلالة، ويسيل رقةً وجزالة، ويرف جدّة وطلاوة، ولا يزال كما كان غضّاً طرياً، يحمل راية الإعجاز، ويتحدّى أمم العالم في يقين وثقة، قائلاً في صراحة الحق وقوته، وسلطان الإعجاز وصولته ﴿**قلْ لئنِ اجتمعتِ الانسُ والجنُ على أنْ يأتُوا بمثلِ هذا القرآن لا يأتُونَ بمثلِه ولَوْ كانَ بعضُهُمْ لبعضٍ ظهيراً**﴾ (١).

خصائص أسلوب القرآن:

وللقرآن الكريم في أسلوبه العجيب المخالف لجميع الأساليب البشرية خصائص عديدة نجملها فيما يلي:

الخاصة الأولى: مسحة القرآن اللفظية، التي تتجلّى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨. أنظر مناهل العرفان ج ٢، ص ٢٢٩.

الخاصة الثانية: إرضاؤه العامة والخاصة، بمعنى أن الجميع يحسّون بجلاله ويشعرون بروعته

الخاصة الثالثة: إرضاؤه العقل والعاطفة معاً فالقرآن يخاطب العقل والقلب، ويجمع الحق والجمال معاً

الخاصة الرابعة: جودة سبك القرآن وإحْكامُ سرده، فكأنه سبيكة واحدة تلعب بالعقول وتأخذ بالأبصار

الخاصة الخامسة: براعته في تصريف القول، وتفنّنُه في ضروب الكلام، بمعنى أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى، وطرق مختلفة، وكلها رائعة فائقة

الخاصة السادسة: جمع القرآن بين الإجمال والبيان

الخاصة السابعة: الوفاء بالمعنى مع القصد في اللفظ[1].

أمثلة توضيحية على خصائص أسلوب القرآن:

يقول حجة الأدب العربيّ الفقيد (مصطفى الرافعي) رحمه الله:

١ - (لو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصّرفية واللغوية، تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مُساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة، فلا تعذُب ولا تُساغ فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً.. من ذلك لفظة (النُّذر) جمع نذير، فإنّ الضمّة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جسأة هذا الحرف، ونبوّه في اللسان، ولكنّه جاء في القرآن على العكس في قوله تعالى ﴿**ولقدْ أنذرَهُم بطشَتَنا فتمارَوْا بالنُّذرُ**﴾[2] فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوّق مواقع الحروف، وأجرِ حركاتها في حسّ

---

(١) أنظر: مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣٦.

السمع، وتأمّلْ مواضع القلقلة في دال (لقدْ) وفي الطاء من (بْطشتنا) وفي الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى الواو من قوله (بطشَتَنا فَتَمَارَوْا) مع الفصل بالمد، ليكون ثقل الضمّة عليه مستَخفاً بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكونَ الاحماض في الأطعمة.

٢ ـ وفي القرآن لفظة غريبة هي من اغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط الا في موقعها فيه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله تعالى **﴿تلكَ إذاً قِسمةٌ ضِيْزَى﴾** ومع ذلك فإن حُسْنها في نظم الكلام من أغرب الحُسن ومن أعجبه، ولو أردت اللغة العربية ما صَلُح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها وهي سورة (النجم) مفصّلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الاصنام، وزعمهم في قسمة الاولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله، مع وأدهم للبنات فقال تعالى **﴿ألكُمُ الذّكَرَ ولَهُ الأنثى* تلكَ إذاً قِسمةٌ ضِيزَى﴾**[1] فكانت غرابة اللفظة أشد الاشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي انكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى، والتهكم في الاخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل..

٣ ـ ومما لا يسعه طوق انسان في نظم الكلام البليغ، ثم مما يدل على ان نظم القرآن مادة فوق الصنعة، ومن وراء الفكر، وكأنها صُبّت على الجملة صباً، انك ترى بعض الالفاظ لم يأت فيه لا مجموعاً، ولم يستعمل منه صيغة المفرد، فإذا احتاج الى هذه الصيغة استعمل مرادفها، كلفظة (اللُب) فإنها لم ترد إلا مجموعة كقولة تعالى **﴿إنّ في ذلكَ لذِكرى لأولي الألباب﴾**[2] وقوله **﴿وليذّكرَ أولو الألباب﴾**[3] ونحوهما ولم ترد فيه مفردة، بل جاء مكانها (القلب) في قوله تعالى **﴿إنّ في ذلك لذِكْرَى لِمَنْ**

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٢١.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

obeikandl.com

كان لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [1] وذلك لان لفظ (الباء) شديد مجتمع، ولا يُفضي الى هذه الشدّة الا من اللام الشديدة المسترخية، فلما لم تحسن اللفظة اسقطها من نظمه بتّة..

وكذلك لفظ (الكوب) استعملت فيه مجموعة، ولم يأت بها مفردة، لأنه لا يتهيأ فيها ما يجعلها في النطق ـ من الظهور والرقّة والانكشاف وحسن التناسب ـ كلفظ (أكواب) الذي هو الجمع، و (الارجاء) لم يستعمل القرآن لفظها إلا مجموعاً، وترك المفرد وهو الرّجا: اي الجانب لعلة لفظه، وانه لا يسوغ في نظمه كما ترى..

وعكس ذلك لفظة (الأرض) فإنها لم ترد فيه الا مفردة، ولم يرد في القرآن صيغة الجمع (أرضين) ولما احتاج الى جمعها اخرجها على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة، وذهب بها حتى خرجت من الروعة بحيث يسجد لها كل فكر سجدة طويلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللهُ الّذي خَلَقَ سَبْعَ سَموَاتٍ وَمِنَ الأَرضِ مِثْلَهُنَّ، يتنزّلُ الأمرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [2] ولم يقل (وسبع أرضين) لهذه الجساة التي تدخل للفظ، ويختل بها النظم اختلالاً...

٤ ـ وتأمل قوله تعالى ﴿فَأرْسَلْنا عليْهِمُ الطّوفانَ، والجرادَ والقُمّلَ، والضّفادعَ، والدّمَ، آياتٍ مفصّلاتٍ﴾ [3] فإنها خمسة اسماء، أخفها في اللفظ (الطوفان، والجراد، والدم) وأثقلها (القمّل والضفادع) فقدّم (الطوفان) لمكان المدّين فيها، حتى يأنس اللسان بخفتها، ثم (الجراد) وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً باخفهما في اللسان، وابعدهما في الصوت لمكان تلك الغُنّة فيه، ثم جيء بلفظة (والدم) آخراً، وهي اخف الخمسة واقلها حروفاً، ليسرع اللّسان فيها، ويستقيم لها ذوق النظم، ويتم بها هذا الاعجاز في التركيب، وانت فمهما قلّبت هذه الاسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة الا في هذا الوضع، فلو قدّمت او أخرت لبادرك

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٣

openkanz.com

التهافت والتعثر، ولأعتنك ان تجيء منها بلفظ، او نظم فصيح..

من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً انسانياً البتة، ولو كان من وضع انسان لجاء على طبقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب، او من جاء بعدهم الى هذا العهد ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (١) ولقد أحس العرب بهذا المعنى، واستيقنه بلغاؤهم، ولولاه ما افحموا، ولا انقطعوا من دونه، لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة (٢)؟!..

ويقول المرحوم فضيلة الشيخ (الزرقاني) في موضوع خصائص أسلوب القرآن:.

(للقرآن مسحة خلابة عجيبة، تتجلّى في نظامه الصّوتي، وجماله اللغوي.. ونريد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكتاته، اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الاسماع ويستهوي النفوس، بطريقة لا يمكن أن يصل اليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور..

ونريد بجمال القرآن اللغوي، تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في وصف حروفه وترتيب كلماته، ترتيباً دونه كل ترتيب تعاطاه الناس في كلامهم، ولقد وصل هذا الجمال اللغوي الى قمة الاعجاز، بحيث لو دخل في القرآن شيء من كلام الناس، لاعتلّ مذاقه في افواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه، ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذلك النظام الصوتي، انهما كما كانا دليل اعجاز من ناحية، كانا سُوراً منيعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك ان من شأن الجمال اللّغويّ، والنظام الصوتيّ، ان يسترعي الاسماع، ويثير الانتباه، ويحرّك داعية الإقبال في كل إنسان، إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويُعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ احد على تغييره وتبديله، مصداقاً لقوله سبحانه:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي، ص ٢٦١.

﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾[1]..

ومن خصائص اسلوب القرآن العظيم انه يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع الحق والجمال معاً، انظر إليه وهو في معمعان إقامة الدليل العقلي على البعث والنشور في مواجهة المنكرين المكذبين، كيف يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة امتاعاً، بما جاء في طيّ هذه الادلة المسكتة المقنعة، إذ قال سبحانه في سورة (فصّلت):.

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت، إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى، إنّه على كل شيء قدير﴾[2]. واستمع إليه في سورة (ق) إذ يقول:.

﴿ونزّلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد* والنخل باسقات لها طلع نضيد* رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾[3]..

تأمل هذا الاسلوب البارع، الذي اقنع العقل، وامتع العاطفة في آن واحد، حتى في الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل، إذ قال في الآية الأولى ﴿إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ وفي الآيات الأخيرة قال ﴿كذلك الخروج﴾ أي الخروج من القبور، والبعث والنشور..

يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الانسان وقلبه معاً، بأنصع الأدلة، واجل البيان، في هذه الكلمات المعدودات!!.

ثم أنظر الى القرآن وهو يسوق قصة (يوسف) مثلاً، كيف يأتي في خلالها بالعظات

(١) سورة الحجر، الآية: ٩. أنظر: مناهل العرفان، ج ٢،ص ٢٠٨.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.
(٣) سورة ق، الآيات: ٩ ـ ١١.

البالغة، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة، على وجوب الاعتصام، بالعفاف، والشرف، والأمانة، إذ قال في فصلٍ من فصول تلك القصة الرائعة:.

﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ، وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ، قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ، إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ (١)..

فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث، بدواعي العفاف الثلاث، مقابلة صورت من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين (جند الرحمن) و (جند الشيطان) ووضعتها امام العقل المنصف في كفتي ميزان!! وهكذا تجد القرآن كلّه مزيجاً حلواً سائغاً، يخفّف على النفوس ان تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية. فهل تسعد بمثل هذا في كلام البشر؟ لا، ثم لا، فكلام البشر إنْ وفى بحق العقل، بخس العاطفة حقها، وإن وفى بحقّ العاطفة بخس العقل حقه، حتى لقد بات العرف العام يقسم الاساليب البشرية الى قسمين، لا ثالث لها (اسلوب علمي) و (اسلوب ادبي) فطلاب العلم لا يرضيهم اسلوب الادب، وطلاب الادب لا يرضيهم اسلوب العلم، وهكذا تجد كلام العلماء والمحققين فيه من الجفاء والعري، ما لا يهز القلوب ويحرّك النفوس، وتجد في كلام الأدباء والشعراء، من الهُزال والعقم العلمي ما لا يغذي الأفكار ويقنع العقول، اما القرآن فقد انفرد بهذه المزية بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن ﴿**فتبارك الله ربُّ العالمين**﴾ (٢)..

٣ ـ الوجه الثالث من وجوه الاعجاز، ذلك الايجاز الرائع، والجزالة (٣) الخارقة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر ان يحيط بها، أو يأتي بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية، والقدرة الانسانية. لقد كان البدوي، راعي الغنم، يسمع القرآن فيخر ساجداً لله رب العالمين، وذلك لروعة هذا الكتاب المجيد، ولما يفعل به في نفوس السامعين، وهو دليل رقة الإحساس، ولطف الشعور من اولئك الرعاة الجفاة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٤. أنظر مناهل العرفان، ص ٣١٠.

(٣) المراد بالجزالة: الفخامة في الألفاظ، والإجادة في التعبير مع قوة الحبك وعدم التعقيد.

قصة الجارية والأصمعي:..

يروى أن (الأصمعي) خرج ذات يوم فلقي جارية خماسيّة او سداسيّة، وسمعها تنشد أبياتاً من الشعر رائعة، فأعجب بتلك الابيات وهزّت منه النفس والقلب، بجمال اسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة الفاظها، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟ فقالت له: ويحك أوَ بعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى ﴿**وأوحينا إلى أم مُوسى أنْ أرضِعيهِ، فإذا خفتِ عليهِ فألقيهِ في اليمّ، وَلا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وجَاعِلوهُ مِن المُرْسَلين**﴾[1] ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[2].. الخ. قال الاصمعي فأعجبت بفهمها وإدراكها اكثر ما اعجبت بشعرها، فهي جارية بدوية صغيرة السن ولكنها واسعة العلم والفهم، أما الأبيات التي كانت تنشدها فهي قولها:.

(أستغفر الله لذنبي كلّه   قبلت إنساناً بغير حلّه)
(مثل الغزال ناعماً في دلّه   وانتصف الليل ولم أصلّه)

وقد أشارت هذه الجارية على الأصمعي بروعة ما في القرآن من بلاغة وفصاحة، وإيجاز وإعجاز، فالآية الكريمة جمعت بين امرين وهما (أرضعيه) و(ألقيه في اليمّ) ونهيين وهما (لا تخافي) و(لا تحزني) وخبرين وهما (أوحينا) و(خفت) وبشارتين وهما (إنا رادّوه إليك) و(جاعلوه منَ المرسلين) فالبشارة الأولى برده اليها سليماً كريماً، والبشارة الثانية وهي أن الله سبحانه وتعالى سيجعله رسولاً هادياً. فانظر ـ رعاك الله ـ كيف أدركت هذه الجارية البدوية، بفطرتها العربية، سراً من أسرار هذا الايجاز والاعجاز، وانتبهت الى ما لم يدركه هو من أسرار هذا القرآن، فكأنَ الآية نظمت في عقد من اللؤلؤ والمرجان، فكانت لآلئها بميزان..

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) القصة ذكرها القرطبي في تفسيره الجزء الثالث عشر ص ٢٥٢، وذكرها صاحب المنار في الجزء الأول ص ٢٨ والمراد بقوله (خماسية او سداسية) أي طولها خمسة او ستة أشبار. أي أنها معتدلة القامة.

ب ـ ويروى أن (ابن المقفع) الكاتب البليغ المشهور، حاول أن يعارض القرآن ذات مرّة، فسمع صبياً يقرأ قوله تعالى: **﴿وقيل يا أرضُ ابلعي ماءكِ، ويا سماءُ أقلعي، وغيضَ الماءُ، وقُضيَ الأمرُ، واستوتْ على الجوديِّ، وقيلَ بُعداً للقومِ الظالمين﴾** [١] فكسّر الأقلام، ومزّق الصحف التي كان قد بدأ بها في المعارضة وقال: هذا والله مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، فمزق ما جمع واستحيا على نفسه من إظهاره..

وهكذا رجع الأديب الكبير البليغ عن عزمه، بعد ان حدثته نفسه بمعارضة بعض سوره لأنه شعر بروعة القرآن..

ثم انظر الى الجزالة والايجاز في أسلوب القرآن، وقارنها بأروع اسلوب نطق به عربي، وهو أسلوب افصح من نطق بالضاد، سيد المرسلين محمد بن عبد الله، الذي شهد ببلاغته وفصاحته اعداؤه قبل أنصاره، قارن بين (القرآن والسنة النبوية) تجد الفرق شاسعاً، والبون بعيداً، كفرق ما بين السماء والأرض، فبلاغة القرآن ونضارته واشراقته في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الايجاز والبيان، تأمل قوله ﷺ في صفة الجنة وما فيها من نعيم وخلود:

«فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر...» الحديث، وقارن بين هذه الألفاظ على روعتها وبين قوله تعالى في وصف نعيم أهل الجنة..

﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ الأعين..﴾ [٢] الآية. وقوله تعالى **﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعيُن﴾** [٣] فهذا أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأجزل عبارة، وأقل حروفاً..!!.

ووازن بين قوله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٧١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

obeikandl.com

ومسؤول عن رعيته» الحديث. وبين قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ★ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [1] وقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [2] وكذلك قارن بين سائر اقواله ﷺ وبين القرآن الكريم تجد أن كلام الرسول على بلاغته لا يخرج عن كونه كلام بشر في الذروة العليا من الكلام، أما كلام الله تعالى فلا يشبهه كلام لانه كلام خالق البشر، انظر إليه وهو يتحدث في جزء آية من آياته المجيدة عن احوال الامم السابقين، ومآل الجاحدين المكذبين، وما حل بهم من كوارث ونكبات، نتيجة لطغيانهم وتمردهم، ثم كيف انتقم الله منهم جميعاً بعد ان جاوزوا الحد في الطغيان، فلم ينج منهم إنسان يقول حلّ ثناؤه:.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً، وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ، وَمِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ، وَمِنْهُم مَن أَغْرَقْنَا، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [3]..

يقول القرطبي رحمه الله نقلاً عن (ابن الحصّار): وهذه الثلاثة اوجه من (النظم، والاسلوب، والجزالة) لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدّي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غير ان ينضاف اليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة (الكوثر) ثلاث آيات قصار، وهي اقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن معنيين:.

أحدهما: الإخبار عن الكوثر (نهر في الجنة) وعظمه وسعته وكثرة اوانيه، وذلك يدل على ان المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل..

والثاني: الإخبار عن (الوليد بن المغيرة) وكان عند نزول الآية ذا مال وولد، ثم

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٢، ٩٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

أهلك الله سبحانه ماله وولده[1]، وانقطع نسله[2]..) انتهى.

٤ ـ التشريع الالهي الكامل:

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل، الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر، في القديم والحديث، فالقرآن الكريم هو الذي وضّح أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الاقتصادي، والسياسي، والمدني، والاجتماعي، وهو الذي نظّم حياة الاسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادىء الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين ألا وهي (المساواة، الحرية، العدالة التي يسمونها (الديمقراطية) الشورى) الى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع، الذي تسعى اليه المدنية الحديثة. ففي العقائد دعا القرآن الى عقيدة طاهرة سامية، واضحة جلية، عمادها الايمان بالله عز وجل والتصديق بجميع انبيائه ورسله، والايمان بجميع الكتب السماوية مصداقاً لقوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[3]. ودعا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الى كلمة سواء، لا انحراف فيها ولا التواء قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[4]..

---

(١) معنى الأبتر: الذي لا ولد له ولا نسل، والشانيء معناه: المبغض، وقد قال الزمخشري أنها نزلت في (العاص بن وائل).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١، ص ٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

وفي العبادات جاء القرآن العظيم بأسس العبادات ودعائمها، فشرع الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وسائر اعمال البرّ والطاعة، وليست (العبادة) في الاسلام قاصرة على هذه الدعائم والأركان، بل هي تشمل كل عمل خير، وفعل برّ او طاعة، ولهذا فإن العلماء قرروا أن كل عملٍ يقصد به الإنسان وجه الله يكون عبادة، وقالوا (إن النية الصالحة تقلب العادة الى عبادة) فإذا عمل الإنسان واحترف له صنعة بقصد التعفف عن الحرام والإنفاق على أهله وعياله، وإذا اكل أو شرب بقصد التقوّي على طاعة الله كان عمله عبادة يثاب عليها، والاصل في هذا قول النبي الكريم «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا اجرت عليها، حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك) الحديث[1]. وقوله ﷺ «وفي بُضْع احدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام اكان عليه وزر؟ فكذلك اذا وضعها في حلال كان له أجر»[2] وإذا امعنا النظر في اصول العبادات المفروضة نجد ان الإسلام قد وسّعها ونوّعها، وجعلها ضروباً متفاوتة، فمنها ما هو (عبادة مالية) كالزكاة والصدقات، ومنها ما هو (عبادة بدنية) كالصلاة والصيام، ومنها ما هو يجمع بين الامرين (عبادة مالية وبدنية) كالجهاد في سبيل الله يكون بالمال والنفس وهذا التنويع له مغزاه وحكمته السامية وذلك لئلا تألف النفس شيئاً فتصبح لها عادة او تملّ وتضجر من العبادة الواحدة. وفي مجال (التشريع العام) نجد القرآن العظيم قد وضع قواعد عامة في التشريع المدني، والجنائي، والسياسي، والاقتصادي، ووضع أسساً للتعامل الدولي في حالة السلم والحرب، على اكمل وجه واعدل نظام، ففي أمر المعاملات حرّم القرآن اكل اموال الناس بالباطل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكونَ تِجارةً عن تَراضٍ مِنْكُم**﴾[3]

---

(١) الحديث من رواية البخاري في قصة (سعد بن أبي وقاص) حين دخل الرسول ﷺ يزوره من وجع اشتد به.

(٢) الحديث من رواية مسلم، وهو في باب كثرة طرق الخير وأوله: أن ناساً قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٩.

الآية، ودعا الى الإشهاد عند إبرام البيع وبكتابة الدين ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾[1] الآية. وفي الأمور الجنائية شرع القرآن الحدود، وأوجب على الأمة تنفيذها، من أجل حماية المجتمع وصيانته من الفوضى والاضطراب وتأمين الأمة على حياتها ومستقبلها، وأموالها وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التي لن تكون إلا عن طريق (الأمن والاستقرار)..

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطراً على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكلٍ منها عقوبات مقدرة لا يجوز الزيادة عليها او النقصان منها، أو التساهل في تطبيقها، وترك ما سوى ذلك من (الجرائم الخفيفة) للحاكم المسلم، ينفّذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبوية المطهّرة، وبالشكل الذي يحقق روح الإسلام من إرادة الخير للناس، وتطهير المجتمع من المفاسد والمظالم الاجتماعية، أما الجرائم الكبيرة التي عين لها القرآن عقوبات رادعة فهي خمسة: (جريمة القتل، جريمة الزنى، جريمة السرقة، جريمة قطع الطريق، جريمة الاعتداء على كرامة الناس بالقذف)..

ولعلّ أروع مثلٍ للمقارنة بين (التشريع الإلهي القرآني) وبين (التشريع الوضعي) الذي هو من صنيع البشر ذلك الأثر العظيم الذي تركه القرآن الكريم في نفوس العرب بسبب تلك الطريقة الحكيمة التي سلكها في معالجة المفاسد والأمراض الاجتماعية، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة من نفوسهم، وجعلهم خير أمة اخرجت للناس، فملكوا الدنيا وسادوا العالم..

أمثلة من واقع الحياة:

ومن الأمثلة على تفوّق ذلك التشريع القرآنيّ الحكيم، على بقية التشاريع البشرية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

والنظم الارضية ما نلمسه في واقع الحياة، ويمكن ان نشير إشارة خاطفة الى سموّ الشريعة الإسلامية على بقية النظم فيما يلي:.

١ ـ منذ زمن قريب حرّمت (أمريكا) الخمر، ولكنها فشلت ولم تنجح لأنها لم توفق الى الطريقة الحكيمة التي اتّبعها الإسلام في تحريم الخمر، فعادت الى إباحته مع اعتقادها بضرره الفادح..

٢ ـ أباحت بعض الدول الغربية وخاصة (أمريكا) الطلاق بعد ان كان ممنوعاً لديها بسبب تعاليم الكنيسة، ولكنها أسرفت فيه إلى درجة ضارّة، ولا تزال تأخذ بتشريع الطلاق..

٣ ـ مصلحو اوربا يرفعون اصواتهم بضرورة السماح (بتعدد الزوجات) حتى بعض نسائهم طالبن بذلك نتيجة لكثرة العوانس من النساء، بحيث أصبحت المشكلة ذات أهمية خطيرة على المجتمع الاوربي..

٤ ـ الخيانات الزوجية انتشرت في المجتمع الاوربي (المتمدّن) بشكل فظيع، وبصورة مذهلة حتى أصبحت الاسر مهددة بانفصام عراها، وكثر فيها اللقطاء وذلك بسبب السفور والتبرج والاختلاط بين الجنسين..

٥ ـ إسبانيا أصدرت حكومتها قراراً وسنت قانوناً بمنع البغاء الرسمي في بلادها، وبمنع النساء من البروز على الشواطيء في ثياب الاستحمام..

٦ ـ زعيم فرنسا نادى غداة هزيمتها امام الألمان في الحرب الاخيرة يقول: إن سبب انهيار دولة فرنسا وسبب هزيمتها وانكسارها هو انغماسهم في الشهوات الجنسية، وإسرافهم في المفاسد والمفاتن..

٧ ـ وأخيراً نجد ان الجرائم تزداد في كل يوم في المجتمع المتمدن (المجتمع الغربي) مع صراحة العقوبات المشروعة، عندهم بالحبس والسجن السنوات الطوال، او الإعدام بالشنق، ومع ذلك نجد الجرائم المروّعة من خطف للفتيات والفتيان، وإزهاق للأرواح، وسرقة ـ في وضح النهار ـ للبيوت والبنوك والمحلات الكبيرة حتى لقد اصبحنا نسمع عن وجود عصابات خطيرة، تهدد امن البلاد وسلامة العباد، وذلك من

أعظم البراهين على فشل النظم الوضعية، والتشريعات البشرية، اما الاسلام فقد حقق الامن والسلام، وقضى على الجريمة في مهدها ولقد أحسن من قال:

(أينما نظّمت عقول ضعاف … من نظام المهيمن الديّان)
(إيه عصرَ العشرين ظنوك عصراً … نيّر الوجه مسعد الانسان)
(لست نوراً بل انت نار وظلم … مُذْ جعلتَ الإنسان كالحيوانِ)

ذلك هو الفرق بين تشريع الرحمن، وتشريع الإنسان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1].

٥ ـ الإخبار عن المغيّبات:

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم (إخباره عن المغيّبات) وذلك برهان ساطع، ودليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، إنما هو كلام علاّم الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كان من صنع محمد ـ كما زعموا ـ لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية، بوقوعها على خلاف ما اخبر ولافتضح امره بالكذب الصريح، وحاشاه ﷺ من الكذب على الله.

أ ـ فمن هذه الاخبار الغيبية، إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والانتصار للروم بعد ان انكسروا في الحرب السابقة وذلك في قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ★ غُلِبَتِ الرّومُ ★ في أدْنى الأرضِ وهُمْ مِنْ بعدِ غَلَبِهم سَيَغلِبون ★ في بِضعِ سِنينَ، لله الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بعدُ ويَوْمَئِذٍ يَفْرحُ المؤمنون ★ بنصرِ الله، يَنْصُرُ مَنْ يَشاء وَهُوَ العزيزُ الرّحيمُ﴾[2].

يذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان حرباً وقعت بين دولة الروم وهي

---

(١) أنظر كتاب مناهل العرفان للزرقاني.
(٢) سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٥.

(مسيحية) ودولة الفرس وهي (وثنية) فانتصر الفرس على الروم، ففرح المشركون وشمتوا وقالوا للمسلمين: تزعمون انكم أهل كتاب وأن النصارى أهل كتاب، وها قد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ نحن عليكم، فاغتمّ المسلمون وحزنوا لانهزام الروم وهم دولة متدينة، أمام دولة الفرس وهم وثنيون، فنزلت الآية الكريمة تبشر المسلمين بانتصار الروم على الفرس في مدة وجيزة تتراوح بين الثلاث والتسع من السنين (في بضع سنين) ولم يكن مظنوناً وقت تلك البشارة أن الروم تنتصر على الفرس، لأن الحروب الطاحنة انهكتها حتى غزيت في عقر دارها، ولأن دولة الفرس كانت قوية منيعة، وزادها الظفر الأخير قوة ومنعة. فلما نزلت الآية الكريمة راهن ابو بكر بعض المشركين وهو (أبي بن خلف) على مائة ناقة الى تسع سنين، ولم تمض المدة حتى وقعت الحرب بين الروم والفرس، فانتصر فيها الروم وانهزمت الفرس وتحققت نبوءة القرآن وذلك - ٦٢٢ - ميلادية الموافقة للسنة الثانية من الهجرة النبوية. وكسب أبو بكر الرهان فأمره ﷺ بالتصدق به..

وفي الآية نبوءة اخرى وهي ان المسلمين سيفرحون بنصر قريب، في الوقت الذي ينتصر فيه الروم ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون★ بنصر الله..﴾ ولقد صدق الله وعده في هذه كما صدقه في تلك، فكان ظفر المسلمين في بدر واقعاً في الظرف الذي انتصر فيه الروم، وهكذا تحققت النبوءتان في وقت واحد بفضل الله..

يقول الزمخشري: (وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوّة، وأن القرآن من عند الله، لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله)[1].

ب - التنبؤ بدخول الرسول واصحابه مكة آمنين مطمئنين.. روي ان النبي ﷺ رأى رؤيا في منامه وذلك قبل خروجه الى الحديبية، رأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصّروا فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا انهم داخلوها من عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ

---

(١) انظر الكشاف، ج ٤ ص ٣٤٥. في سبب نزول الآية الكريمة.

obeikandl.com

حق، فلما كان صلح الحديبية خرجوا من المدينة محرمين يسوقون الهدي إلى مكة لا يقصدون حرباً، وإنما يقصدون العمرة والنسك، ولكنّ قريشاً صدّتهم، وكادت تقع الحرب بين المسلمين والمشركين لولا ان الرسول ﷺ رضي معهم بالصلح إيثاراً منه للسّلم وحباً للسلام العام، وكان من شروط ذلك الصلح ان يرجع الرسول ومن معه من ذلك العام على ان يدخلوا مكة في العام القابل، واتخذ المنافقون ضعفاء الايمان من ذلك سبيلاً الى الطعن والدسّ واللمز، حتى قال رئيس المنافقين (عبد الله بن أبيّ): والله ما حلقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، ولكن نزلت الآية الكريمة تحمل تلك الوعود الثلاثة المؤكدة وهي: دخول مكة، وأداء النسك، والأمن من قريش، على رغم ما هو معروف من غدر قريش ونكثهم العهود، وتقطيعهم الأرحام، وقد انجز الله وعده فتمّ الأمر ودخل المؤمنون مكة آمنين مطمئنين وفي ذلك يقول القرآن الكريم:.

﴿لقَدْ صَدقَ الله رَسُولَهُ الرّؤيا بالحَقّ، لَتَدْخُلنّ المَسْجِدَ الحرَامَ، إنْ شاءَ الله آمِنينَ مُحَلّقِينَ رُؤوسَكُمْ ومُقَصّرين، لا تخافُونَ، فعَلمَ ما لم تَعْلَمُوا فَجعلَ مِنْ دونِ ذَلكَ فَتْحاً قريباً﴾ [1]..

ج ـ تنبؤ القرآن بانهزام المشركين قبل وقوع الحرب وذلك في قوله تعالى في سورة القمر:.

﴿أمْ يَقُولونَ نحْنُ جَميعٌ مُنْتَصِرٌ* سَيُهزَمُ الجمعُ ويولّون الدّبُر* بَلِ السّاعةُ مَوْعدُهم وَالسّاعةُ أدْهى وأمَرّ﴾ [2] وسورة القمر مكيّة، والجهاد لم يشرع إلاّ في السنة الثانية من الهجرة، فأين هي إذاً فكرة الحرب، ومن الذي كان يجول بخاطره ان ينهزم جمع المشركين، وينتصر عليهم المسلمون وهم قلّة في العَدَد والعُدَد؟ ولكنه وعد الله لا يخلف..

روي عن عكرمة انه قال: لما نزلت هذه الآية **﴿سَيُهزَمُ الجمعُ ويُولّون الدّبر﴾**

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة القمر، الآيات: ٤٤ ـ ٤٦.

قال عمر بن الخطاب: أيّ جمع هذا الذي سيُهزم؟ فلما كانت غزوة بدر رأى رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع ويقول (سيهزم الجمعُ ويُولّون الدّبُر) فعرف عمر تأويلها [1]. وروي عن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين..

د ـ تنبؤ القرآن بذلك المستقبل الاسود الذي ينتظر كفار قريش، وذلك في قوله تعالى في سورة الدخان:.

﴿فَارْتَقِبْ يَومَ تأتي السّماء بِدُخانٍ مبين* يَغْشى النّاسَ هذا عَذابٌ أليم* ربّنا اكْشِفْ عنّا العَذابَ إنّا مُؤمِنونَ* أنّى لهُمُ الذّكرى وَقَدْ جاءَهُم رَسُولٌ مُبينٌ* ثُمّ تَوَلّوْا عنْهُ وَقالُوا مُعَلّمٌ مجنون* إنّا كاشِفُوا العَذابِ قَليلاً إنّكُم عائِدون* يَوْمَ نَبْطشُ البطْشَةَ الكُبْرى إنّا مُنْتَقِمُون﴾ [2]..

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة أن أهل مكة لما كذّبوا رسول الله ﷺ واستعصوا وتمرّدوا عليه، دعا عليهم فقال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصّت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر احدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان، فأتاه (أبو سفيان) فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادعوا الله لهم فأنزل الله هذه الآيات الكريمة» [3]..

قال الزرقاني رحمه الله: وفي هذه الآيات عند التأمل خمسة تنبؤات:.

أولها: الإخبار بما يغشاهم من القحط والجوع حتى يرى الرجل بينه وبين السماء كهيئة الدخان..

الثاني: الإخبار بأنهم سيضرعون الى الله حين تحل بهم هذه الازمة..

---

(١) أنظر الكشاف، ص ٤٤٠، الجزء الرابع.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ١٠ ـ ١٦.

(٣) الحديث من رواية البخاري ومسلم.

الثالث: الإخبار بأن الله سيكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً..

الرابع: الإخبار بأنهم سيعودون إلى كفرهم وعتوّهم..

الخامس: الإخبار بأن الله سينتقم منهم يوم البطشة وهو يوم بدر. ثم قال: ولقد حقق الله ذلك كله ما اخرم منه ولا نبوءة واحدة، فأصيبوا بالقحط حتى أكلوا العظام وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من شدة جوعه وجهده، ثم قالوا متضرعين ﴿رَبَّنا اكْشِفْ عنَّا العذابَ إنّا مُؤمِنون﴾، ثم كشف الله عنهم العذاب قليلاً ثم عادوا الى كفرهم وعتوهم، فانتقم الله منهم يوم بدر فبطش بهم البطشة الكبرى حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون وأديل للمسلمين منهم. أرأيت ذلك كله هل يمكن ان يصدر مثله من مخلوق؟ كلاّ بل هو الله العزيز الحكيم[1]..

هـ - التنبؤ باظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى:.

﴿هُوَ الذي أرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدى وَدينِ الحقِ لِيُظْهِرَهُ على الدّينِ كلّهِ ولَـو كرِهَ المشْرِكون﴾[2]..

وكذلك التنبؤ بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:.

﴿وعَدَ اللهُ الّذين آمَنوا منكُم وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهم في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، ولَيُمَكّنَنّ لهمْ دينَهم الّذي ارْتَضى لهم، وليبدِّلَنّهُمْ مِنْ بعدِ خوْفِهِم أمناً﴾[3].. الآية..

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي فـأظهـر الله الإسلام على جميـع الأديـان، ومكّـن للمسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ حتى استولوا على جميع البلاد العربية، ولم يبق جزء منها إلا دان للمسلمين بالطاعة ومن لم يدخل في الاسلام دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم، ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى ارض كسرى

---

(١) أنظر مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥. أنظر: الكشاف للزمخشري، ج ٣، ص ٢٥٢.

obeikandi.com

وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يمض قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الاسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب الى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، وكان وعد الله مفعولاً..

وكل هذه ـ وأمثالها في القرآن كثير ـ أخبار عن المستقبل وقد تحققت جميعها، وهذا أمر خارق للعادة فكان وجهاً من وجوه الإعجاز لأن مثله لا يتفق إلا بإخبار من عند الله جلّ وعلا. ولا يغيب عن بالنا أن جميع القصص التي جاء في القرآن الكريم هو من باب الإخبار عن غيوب الماضي الذي أطلع الله رسوله الكريم عليه، وما كان له علم بها، ولهذا ذكر الله جلّ ثناؤه قصة نوح ثم اعقبها بهذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى:.

﴿تِلْكَ مِنْ أنباء الغَيْبِ نُوحِيها إليْك ما كُنتَ تَعْلَمُها أنت ولا قَوْمَكَ من قَبلِ هذا، فاصْبِر إنّ العاقِبةَ للمتّقين﴾(١)..

وما اروع قصص القرآن الذي نزل على خاتم المرسلين، ليكون تثبيتاً لقلبه وذكرى للمؤمنين؟! وذلك أعظم برهان على أنه تنزيل رب العالمين، فيا لها من حكمة سامية، ومعجزة باهرة!!

سادساً: عدم التعارض مع العلم الحديث:.

ومن وجوه إعجاز القرآن تلك الإشارات الدقيقة، إلى بعض العلوم الكونيّة، التي سبق اليها القرآن قبل ان يكتشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكشفه العلم من نظريات علمية حديثة، وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جلّ شأنه:.

﴿سَنُرِيهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهم حتى يَتَبيّنَ لهمْ أنّهُ الحقّ، أو لم يكفِ بِرَبّكَ أنّهُ على كل شيءٍ شَهيد؟﴾(٢)..

---

(١) سورة هود، الآية ٤٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة او فيزياء، وإنما هو كتاب (هداية وإرشاد) وكتاب (تشريع وإصلاح) ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفية، إلى بعض المسائل الطبيعية، والطبية، والجغرافية مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحياً من عند الله، فمن المقطوع به ان محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وانه نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر الحضارة، حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا مدارس تُقْرأ فيها العلوم الكونية، لأن قومه وعشيرته كانوا (أميين) ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكتشف العلم أسرارها إلاّ منذ زمن قريب، وذلك من أصدق البراهين على ان هذا القرآن ليس من تأليف محمد - كما يزعم بعض المستشرقين - إنما هو وحي من الله، أنزله على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي متين. ولقد أجاد الاستاذ (عفيف طبّارة) في كتابه (روح الدين الإسلامي) فذكر بعض هذه الحقائق العلمية الدقيقة، ونحن ننقل بعضها بشيء من الإيجاز مع التصرف.

obeikandl.com